الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [1] .

ومن صفات الكافرين أنهم يستكبرون على الله ولا يدعونه ولا يتضرعون إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) ﴾ [2] .

## القدر والاستغفار :

الاستغفار والتوبة أرجى عند الله من الدعاء، لأن الدعاء لا يستجيبه الله عز وجل من عبد عاصٍ ، وإن استجاب له كان أملاء وليس حباً فيه ، لذا كان لابد من التوبة والاستغفار قبل الدعاء .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾ [3] .

وقال ﷺ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل

---

(١) سورة الأنبياء الآية « ٩٠ » .
(٢) سورة المؤمنون الآية « ٧٦ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٣٣ » .

همٌ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[1] .

وقال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[2] .

فالاستغفار يمحو الذنوب أولاً بأول فلا يبقى عليه خطيئة يعذبه الله بها ، فيرزقه الله من حيث لا يحتسب ويبارك له فى رزقه ، فالاستغفار من القدر وهو يمنع القدر ، قال تعالى فى قصة يونس عليه السلام : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[3] .

---

(١) حديث ضعيف : أخرجه أبو داود « ١٥١٨ » وابن ماجة « ٣٨١٩ » والطبرانى في الكبير «١٠٦٦٥» .

(٢) سورة نوح الآيات « ١٠ ، ١١ ، ١٢ » .

(٣) سورة الصافات الآية « ١٤٣ ، ١٤٤ » .

وهكذا وفقه الله فدفع قدر العقوبة بقدر التوبة والاستغفار ، وزاد بالتسبيح ولم ييأس فى هذا المكان المظلم من رحمة الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] .

والذى يستغفر ربه لابد له من توبة ، ولا يكون باللسان فقط ، وإلا كان كالمستهزئ بربه وهو أيضاً من الغباء .

ولنأخذ مثال على ذلك لتقريب هذا المفهوم : هب أنك تقف فى مكان مزدحم وكان بجانبك شخص داس قدمك ثم اعتذر ، فقبلت عذره ، ثم كرر ذلك مراراً فى هذه الحالة لن تقبل عذره وستعتقد أنه يتعمد هذا الفعل أو أنه يستهزئ بك ، فإذا كان هذا الفعل مع الله القادر فهو من الغباء ، ولله المثل الأعلى لذا قيل التائب من الذنب

---

(١) سورة الأنبياء الآية « ٨٧ » .

كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب ، وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه ، والله عز وجل لا يغفر للمصرّين على المعاصي .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [1] ، والتوبة لابد أن تكون توبة نصوحاً .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [2] .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٣٥ » .

(٢) سورة التحريم الآية « ٨ » .

## شروط التوبة النصوح :

١ – الإقلاع عن الذنب وعدم العودة إليه .

٢ – الندم عليه .

٣ – إذا كان الذنب متعلق بحقوق العباد وجب التحلل منه إما برده أو بطلب العفو ، فإذا استوفت التوبة شروطها وأتبعها بالعمل الصالح يبدل الله بفضله وكرمه سيئاته حسنات .

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (١) .

كما أن التوبة لابد أن تكون من قريب وليحذر التسويف ، ففي هذه الحالة تكون أقرب للقبول .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٧٠ » .

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (١) .

فالإنسان لا يعلم متى تأتيه منيته ، وعندها لا يقبل الله توبته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) قال ﷺ : « لا يزال يغفر للعبد مالم يغرغر » (٣) .

## علامة قبول التوبة :

أن يكره الإنسان ما كان عليه من فسق وأهله ، وهم

---

(١) سورة النساء الآيات « ١٧ ، ١٨ » .

(٢) سورة لقمان الآية « ٣٤ » .

(٣) حديث حسن : أخرجه ابن ماجه « ٤٢٥٣ » والترمذى « ٣٥٣٧ » ولفظه : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

أصدقاء السوء ، ويحب العمل الصالح والصالحين ، ويحبب الله إليه الإيمان فيصبح من الراشدين .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ ﴾ (١) .

والله عز وجل يفرح بتوبة العبد ويسر له الطريق إذا كان صادقاً فى توبته ، قال ﷺ : « لله أفرح بتوبة العبد من أحدكم سقط على بعير وقد أضله فى أرض فلاة » .

أما الشيطان فيهلكه الاستغفار ، لذا فهو يزين للإنسان الأهواء حتى يظن أنه لا يذنب فلا يستغفر، فيفرح الشيطان ويضحك عليه ويسخر منه ، قال ﷺ : « إن إبليس قال :

---

(١) سورة الحجرات الآية « ٧ » .

أهلكت بن آدم بالذنوب فأهلكنى بالاستغفار فلما وحدث ذلك أهلكنه بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون » [1] ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة أصبح من الأخسرين أعمالاً .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [2] .

وأما المجاهرة بالمعاصى فهى إجتراء على الله عز وجل وعدم حياء منه ومبارزة له ، لذا لا يغفر الله له لأنه ينشر الرذيلة فتهون فى أعين الناس فيفسق المجتمع كله ، قال ﷺ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين » ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله فيكشف ستر الله عليه ، ويقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا » [3] .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦٣٠٩ » ومسلم « ٢٧٤٧ » .
(٢) سورة الكهف الآيات « ١٠٣ ، ١٠٤ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦٠٦٩ » ومسلم « ٢٩٩٠ » .

وكما نحن مأمورين بالاستغفار لأنفسنا يجب أن نستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

أما من مات على الكفر أو الفسق فلا يُستغفر لهم ولا يُطلب لهم الرحمة.

قال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

أما عن كيفية الاستغفار فهناك سيد الاستغفار : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر

(١) سورة محمد ﷺ الآية « ١٩ » .
(٢) سورة التوبة الآية « ٨٠ » .

لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » [1] .

وكذلك من قال : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فاراً من الزحف » [2] .

والمبادرة بالأعمال الصالحة والطاعات يمحو الله بها السيئات .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) ﴾ [3] .

وقال ﷺ : « أتبع الحسنة السيئة تمحها » [4] .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦٣٠٦ » وفى الأدب المفرد برقم « ٦١٧ » والنسائى فى عمل اليوم والليلة برقم « ١٩ » وأحمد « ١٢٢/٤ » .

(٢) حديث : أخرجه أبو داود « ١٥١٧ » والترمذى « ٣٥٧٧ » .

(٣) سورة هود الآية « ١١٤ » .

(٤) جزء من حديث حسن صحيح : أخرجه الترمذى « ١٩٨٨ » .

وقال : « ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له »[1] ، ومن الأعمال الصالحة والتي يكفر الله بها السيئات : العفو عن الناس ، وكظم الغيظ والإحسان إلى المسيء وهو من أوسع الأبواب للمغفرة .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾[2] .

## التعلق بالجبر :

بعض الناس يظنون أنهم مجبورن على فعل المعاصي وأنهم لا إرادة لهم ، إنما هي إرادة الله ولو شاء الله لهداهم وكل ذلك من تلبيس إبليس ، حتى لا يتوبوا إلى الله ، وقد

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود « ١٥٢١ » والترمذي « ٣٠٠٦ » وابن ماجة « ١٣٩٥ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٣٣ ، ١٣٤ » .

قالها المشركون من قبل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] ، أى أن الله أرسل إليهم الرسل لهدايتهم إلا أنهم أبوا ، واستحبوا العمى على الهدى ، فليس لهم حجة .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [3] .

فالله أرسل الرسل لئلا يكون للناس حجة على الله ،

---

(١) سورة النحل الآية « ٣٥ » .
(٢) سورة فصلت الآية « ١٧ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٦٥ » .

فمن اهتدى زاده الله هدى ، ومن أعرض أعرض الله عنه وزاده ضلال ، كما سبق أن أوضحنا .

***

obeikandl.com